أبو عثمان سعيـــد العقبـــانـــي (ت811هـ/1408م)
حيـــاته و آثـــاره

د. رفاف شهرزاد
جامعة طاهري محمد بشار

الملخص:

إن دراسة الشخصيات التاريخية والتعريف بها، يعد من أجلّ الأعمال التي يسعى دارسوها إلى الكشف عن أدوارها البارزة والفعالة في مختلف نواحي الحياة السياسية والثقافية، خاصة وأن المكتبة العربية تزخر بكم ضخم من المصنفات في تراجم الأعلام وطبقات العلماء على اختلاف علومهم وتعاقب عصورهم، وقد أصبح من الواضح أن التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي لا يستغني عن هذا النوع من الدراسات.

لذلك وقع اختياري على واحدة من تلك الشخصيات الثقافية الجليلة في المغرب الإسلامي عامة وفي الدولة الزيانية (633- 962هـ/1235- 1554م) خاصة وهي شخصية العالم أبي عثمان سعيد العقباني (ت 811هـ/1408م) الذي عاش في كنف الدولة الزيانية وتفاعل مع معطياتها السياسية والحضارية.

الملخص بالإنجليزية:

The study of the historical figures and the definition of them, is for the work that the scholars seek to reveal their roles prominent and effective in various aspects of political life and cultural, especially as the Arab Library boasts a huge array of works in the translations of flags and classes of scientists of different sciences and the succession of their ages, It is clear that political, economic and social history does not dispel this type of study.

Therefore, I have chosen one of these distinguished cultural figures in the Islamic Maghreb in general and in the Zayian state (633-962 / 1235-1554), especially the figure of the world, Abi Osman Said al-Aqbani (811-1 / 1408), who lived in the Zayian state and interacted with its political data And civilizational.

مقدمة :

كانت تلمسان على عهد ملوك بني زيان حاضرة علمية ممتازة تضاهي عواصم العلم المشهورة إذ ذاك، كمصر، وغرناطة، وتونس وفاس، وبجاية ،فقد فتحوا باب الهجرة للعلماء على مصراعيه، فجلبوا النخبة منهم، سواء من مختلف أقطار البلاد أو من الأندلس و المغرب الأقصى، ومن المفارقات التاريخية، أن الحياة العلمية والفكرية لم تأخذ مجرى الحياة السياسية، فقد شهدت هذه الحاضرة حركة علمية نشيطة وظهر عدد هائل من العلماء الذين تركوا تراثا علميا كبيرا توارثته الأجيال وبقي تأثيره على الحركة العلمية في المغرب الأوسط أو خارجه لقرون متتالية ومن بين العلماء الذين بزغ نجمهم نجد العالم سعيد العقباني.

وتتمحور الإشكالية التي يطرحها هذا المقال حول إبراز دور سعيد العقباني في الحياة الثقافية للدولة الزيانية ومدى مشاركته، والتعرف على جوانب حياته ونشاطه العلمي ومؤلفاته، وكذا مدى التأثير والتأثر بعلماء عصره وفي بيئته العائلية والاجتماعية.

ولمناقشة هذه الإشكالية، وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات فرعية من أهمها:

- ما مدى تفاعله مع بيئته السياسية والثقافية؟
- ماهي مؤهّلاته العلمية حتى لقب "برئيس العلماء والعقلاء في عهده"؟
- كيف استطاع الجمع بين التأليف في شتى الميادين والإسهام الفكري على الرغم من عبء الوظائف المختلفة التي تقلدها ؟
- من أين اكتسب قوته الجدلية والقدرة على المناظرة وإفحام خصومه بأسلوب علمي يعتمد على قوة العقل والمنطق؟

1- ترجمة الشيخ سعيد العقباني

- مولده: هو سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني، كنيته "أبو عثمان" و"أبو عمرو" ولقبه وشهرته "العقباني"[1]، أمّا عن تاريخ ولادته فقد تضاربت حوله الرّوايات، فحسب رواية ابنه قاسم فإنه ولد سنة عشر أو سبع عشرة وسبعمائة للهجرة[2]، وذكر تلميذه أبو عبد الله المجاري أنّه فارق شيخه وعمره اثنتين وثمانين سنة(798هـ/1398م)[3] الأمر الذي يعني أنه ولد سنة 716هـ، وذهبت مصادر أخرى إلى

أنه ولد سنة 720هجرية[4] بتلمسان[5]، وعليه فمن الأرجح الأخذ برواية ابنه قاسم ورواية المجاري القائلتين بسنة 716 أو717 هجرية لمعاصرتهما له.

- نشأته وترعرعه: نشأ في تلمسان وسط أسرة عربية ذات أصول أندلسية كما أسلفنا، وقد تميزت بالعلم والوجاهة على غرار الأسر الأندلسية الوافدة إلى تلمسان[6]، وفي كنف هذه الأسرة نال حظه من التربية والتعليم في سن مبكرة، محفوفاً بعناية أبوه "محمد العقباني" الذي كان فقيها ومحدثا بليغا شغل منصب التدريس في تلمسان، وقد بدأ حياته التعليمية في بيئته العائلية، واجتمعت عدة عوامل ساهمت في تكوين شخصيته أهمها:

1- أسرته التي عرفت بالعلم والمجد والثراء، فقد أعانته كثيرا بما هيأت له من فرص التفرغ للدراسة والتعليم، وبما أمدته من معونة مالية، ولما تمتعت به من مكانة اجتماعية.

3- احتضان سلاطين بني عبد الواد في مجالسهم العلماء على اختلاف مستوياتهم، وآرائهم وأفكارهم.

4- تحول تلمسان إلى أكبر قاعدة فكرية وثقافية قامت في بلاد المغرب منذ اضمحلال الدولة الموحدية، وتمثلت هذه القاعدة في ذلك العدد الضخم من المدارس العالية المتخصصة التي انتشرت في أنحاء المغرب الأوسط على نحو لو يسبق له مثيل، فقد أنشئوا المكتبات العامة ومنحوا الطلبة ما يساعدهم على تحمل أعباء دراستهم.

5- لم يضع بني زيان أمام العلماء المغاربة وغيرهم من علماء الأندلس وأدباءهم المهاجرين إلى تلمسان أية عوائق، تمنع إقامتهم في ربوع الدولة الزيانية، والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء الزيانيين، بل لقد انضم كثير من هؤلاء العلماء إلى مجالس سلاطين بني عبد الواد العلمية.

6- معاصرته لجهابذة العلم من لا يتسع المقام لحصرهم بل لعد القليل منهم لذلك سنقتصر عل ذكر بعضهم وسوف نخص بذكر رفيقه في الدراسة حسب رواية المجاري[7]وهو الشريف التلمساني(ت771هـ[8]) ، ثم الشيخ أبو عبد الله المقري (759هـ)[9]و الشيخ أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب (ت 780هـ)[10]

وقد ساهموا في خلق جو التنافس العلمي والرغبة في التواصل، نستنتج مما سبق أن سعيد العقباني توفرت له عدة عوامل ساهمت في تكوين شخصيته لعل أهمها حنكة شيوخه.

- تعليمه وشيوخه: استفاد سعيد العقباني من النشاط العلمي الذي عرفته مدن الدولة الزيانية والمطلع على طريقة التعليم في العهد الزياني[11] يمكن أن يستنتج أنه مر بنفس الخطوات التعليمية خلال مراحله التعليمية، فبدأ مرحلته التحصيلية الأولى بتعلم الكتابة والقراءة، وحفظ القرآن وذلك في كتاتيب ومساجد تلمسان، ثم أقبل على دراسة النحو واللغة والأدب والفقه فنال بضاعة وافرة تمكن من خلالها من بلوغ مستوى ثقافي لائق ومن معرفة دينه والإلمام بالعلوم اللسانية، ويظهر أنه واصل دراسته وتخصص في عدة علوم في مرحلته التعليمية الأخيرة فدرس العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وتوحيد وتضلع في العلوم العقلية وذلك في مدارس تلمسان .

❖ شيوخه: لزم سعيد العقباني في الفقه و علم الكلام ولدي الإمام[12] أولهما عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أكبر الأخوين يدعى أبو زيد (ت 743 هـ)و ثانيهما أبو موسى عيسى (ت 749 هـ)، كان هذان العالمان من أجلة العلماء و بقية السلف كما لم يكن في زمانهم أعظم منهما قدرا و لا ذكرا.

فلازم سعيد العقباني مجلساهما وسمع لهما وتفقه بهما في مدرستهما[13]، أما العالم الثاني الذي درس على يده سعيد العقباني فهو الإمام المشدالي(ت 731هـ)[14]، الذي جاء إلى تلمسان بطلب من الأمير أبو تاشفين الأول، فقربه وأحسن إليه فتولى مهمة التدريس، ومن بين العلوم التي درسها في تلمسان هي الحديث والفقه والأصلين والفرائض والمنطق والجدل، تتلمذ عليه جم غفير من العلماء[15].

واستفاد كذلك من براعة وبلاغة ابن حيدرة[16] في الأدب والتصوف، وإنفرد المجاري بخبر تتلمذ أستاذه سعيد العقباني على يد أبي عبد الله الشريف التلمساني ولكننا نستبعد هذا الأمر نظرا لتقارب سنيهما، وربما تذاكر معه بعض المسائل خاصة وأنهما ترافقا في أخذ فرائض الحوفي وذكر أيضا أنه تتلمذ على ابن البنا المراكشي ولكن تاريخ وفاة هذا العالم تجعلنا نستبعد ذلك فقد توفي في سنة 721هـ ونرى هنا أن المجاري إما وقع في وهم أو أنه يعني شخصا آخر له نفس الاسم[17] وتبقى رواية المجاري هذه بحاجة إلى تحقيق وتحري.

❖شيوخه من خارج تلمسان: لم تشر المصادر التي تعرضت لشيوخ العقباني انه رحل لطلب العلم ولكنه استفاد من علماء فاس منهم الشيخان السطي والآبلي، وقد تفقه سعيد العقباني في علم الفرائض[18] وتقسيم التركات على يد الشيخ المحقق الفرضي المدقق أبو عبد

الله محمد بن سليمان السطي[19]، وكانت قراءة العقباني على يد السطي في المنصورة أيام حصار السلطان المريني أبي الحسن المريني على تلمسان(735- 737هـ إلى سنة 1335- 1337م)[20].

وقد أخبرنا سعيد العقباني على لسان تلميذه المجاري أنه قرأ عليه جميع كتاب الحوفي قراءة تفقه وتحقيق لأحكامه الفقهية وتصوير لأعماله الجزئية وذلك في شهر[21]، وأعتبر سعيد العقباني من أنجب الطلبة في علم الفرائض خاصة في الأمور التي تحتاج إلى البرهنة لتبحره في علم الهندسة ونقل سعيد العقباني عن شيخه السطي أنه كان" يسألنا عن براهين بعض المسائل، ومن أي شكل تخرج من أوقليدس فكان رفيقي عبد الله الشريف يسبقني تارة وأسبقه أخرى، وفي بعض السؤالات أنطق أنا وهو بالجواب في وقت واحد"[22]،وقرأ أيضا على يد الشيخ أبو عبد الله الآبلي[23] مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه[24]، والمنطق وسائر الفنون التعليمية آنذاك.

أما شيوخه من تونس فقد تتلمذ على يد الشيخ والإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السلام التونسي[25] خاصة في النحو واللغة وربما درس على يده كتاب الاعراب عن شواهد الإعراب، وكتاب مغنى اللبيب عن الكتب الاعاريب لابن هشام وكتاب النحو لسيبويه والألفية والتسهيل لابن مالك.

ويذكر سعيد العقباني أنه كان من الطلبة النجباء الذين يسْتبقون الجواب مستعملا البرهنة لحل المسائل صحبة رفيقه في الدراسة السيد أبا عبد الله الشريف[26] ولا نستبعد أن الطريقة التي اعتمدها شيوخ سعيد العقباني في سير الدرس هي طريقة الإلقاء والشرح ثم يقوم أحد الطلبة النجباء بقراءة النص من الكتاب المشهور في المادة المدروسة ويتولى أستاذه شرحه فقرة بعد فقرة، أما الطريقة التي سار عليها المدرسون للمواد العددية، فكانت تعتمد على الكتابة في اللوح أو الورق لإثبات التمارين الحسابية واستخدام الحساب الذهني وهو الحساب الهوائي لمعرفة كيفية حساب الأموال في الخيال بلا كتابة[27]، وكان يتنافس مع زميله أبو عبد الله الشريف للإجابة [28]وربما كان شيوخه يمنحونه فرصة قراءة النصوص من الكتاب أثناء الدرس لذكائه وتفطنه وبراعته الأدبية.

منزلتة العلمية: مما لا شك فيه أن سعيد العقباني قد احتل منزلة مرموقة بين معاصريه ومن تبعهم من العلماء والمترجمين له وهو بذلك من مشاهير المغرب الأوسط، وأول ما

يستوقف نظرنا هو أننا نجد اسمه مقرونا في أكثر الأحيان بالفقيه والعالم وقد نال ثناء مجموعة من علماء عصره ومن جاء بعدهم، وحتى نستطيع تكوين صورة واضحة عن منزلته، رأينا من اللائق أن نستعرض مجمل الآراء التي تعرضت له سواء معاصرة له أو جاءت بعد وفاته .

ومن هؤلاء:

- يحي ابن خلدون (ت 780هـ) الذي ذكره بأنه "...ذو نبل ونباهة ودراية وتفنن في العلوم ..."[29]، أما ابن فرحون (799هـ) فوصفه بأنه فقيه في مذهب مالك متفنن في العلوم... وصدارته في العلم مشهورة..."،[30] وأورد ابن مريم ثناء ومدح في حق هذا العالم وتوّجه " برئيس العلماء والعقلاء"[31]وضمن كتابه رأي ابن صعد التلمساني (901هـ) الذي حلاه بقوله " هو الفقيه العلامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان"[32]، وهو نفس الرأي الذي أقره الحفيد بن مرزوق.[33] ،ووصفه تلميذه المجاري بقوله" هو الإمام المحقق وحيد أهل زمانه في المعقول، وقدوتهم في المنقول"[34] ويقول ابن مخلوف في نفس الصدد هو "...العلامة النظار المتحلي بالوقار الفقيه المتفنن لعلوم شتى الإمام الفاضل العمدة المحقق الكامل"[35]، ولغزارة علمه كان يقارن بأبي سعيد بن لب، و الشاطبي و القباب ابن عرفة و الشريف التلمساني و نهيك برجل اصطفاه أمراء الدولة الزيانية و المرينية على حد السواء من بين علماء كثيرين كانت تزخر بهم تلمسان[36]، وأولته الدراسات التاريخية المعاصرة العناية ،فلم تخلوا دراسة حول العلوم السائدة في العهد الزياني من ذكره و التعرض لمناقبه العلمية[37].

نلاحظ من خلال ما سبق، أنه يتوفر على صفات عالية ونادرة تدل على النبوغ والعبقرية والملكات الفكرية والذهن الثاقب، ومن صفاته كذلك الورع والصمت وقلة الضحك، وملازمة النظر، فقد كان طويل الفكرة وكثير العبرة،[38]وربما تميز بسلامة الحواس وقوة الجسم مكنه ذلك من ارتقاء وظيفة القضاء لمدة طويلة وهي من الوظائف التي تتطلب صلابة الجسم وحدة الذكاء، فقد تنقل في أرجاء المغرب الإسلامي لشغل هذا المنصب.

ولعلوّ شأنه اختاره السلطان المريني "أبوعنان " لمنصب القضاء دون غيره من العلماء رغم توفرهم[39]، ولعله كان متوا ضعا وحسن الخلق مما قربه لقلوب العامة فقد كانوا يحملونه عبء الفتوى في مسائلهم العالقة لجمال طبعه وحسن معاملته وقدرته على الإقناع.

وفاته: توفي الشيخ سعيد العقباني يوم الثلاثاء عند صلاة العصر في 22 من ذي الحجة من عام 811هـ/1408م بتلمسان[40]، في عهد السلطان الزياني محمد بن خولة الملقب بالواثق

بالله[41]، ودفن بالمقبرة الواقعة بطريق أبي مدين، حيث توجد قبور هذه العائلة، كم يتبين من الكتابة التي توجد على شاهد قبره: (الحمد لله وحده والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله هذا قبر السيد الأفضل الفقيه الأجل التالى كتاب الله عز وجل سيدي سعيد بن السيد الفقيه المحدث الفصيح البليغ المدرس محمد العقباني أسكنه الله مسكن الجنان وتغمده بالرحمة والغفران وتلقاه بالسرور والرضوان توفى رحمه الله يوم الثلاثاء عند صلاة العصر ثاني وعشرين من ذي الحجة سنة 811هـ) [42].

2- حياته الوظيفية:

- العقباني قاضيا: تعتبر خطة القضاء من أشرف الخطط بعد الخلافة يتولاها قضاة من قبل السلطان لمن يراه كفؤًا وصالحا علماً وخلقاً، فيعينه مباشرة، أو يعيّن شخصية كبيرة من الفقهاء والعلماء والأكفاء لمنصب كبير في القضاء، ويجعل له تولية غيره وإنابته عنه في جهات مختلفة من مملكته عندما يتوفر فيه ما يشترط عليه[43]، وكان كبير القضاة يسمّى "قاضي الجماعة" وهو أعلى منصب قضائي وأجل مرتبة قضائية[44]، وكان يعيّن عند بني زيان من قبل السلطان بعد توفر الكفاءة والقدرة والمؤهلات العلمية والإدارية، و ذكر "سعيد العقباني" تولّيه هذا المنصب وحدّد المدة التي شغل فيها هذا المنصب بقوله".. ولقد ابتُليت بالقضاء قريباً من خمسين سنة في بلاد مختلفة.." [45].

و يظهر أن منصب القضاء كان من اختصاص "عائلة العقباني"، و يمكننا القول إن لقب "القاضي" كاد يكون وراثيا، لأننا كثيرا ما نلاحظ أن قضاة المغرب الأوسط على مدى قرنين ينتمون في غالب الأحيان إلى شجرة أسرية واحدة، مثل "عائلة العقباني" فقد كان القضاء من نصيب معظم أفرادها[46]، وقد توفرت فيه جملة من الشروط والمؤهلات سمحت له بتولي هذا المنصب لمدة تقترب من خمسين سنة، ويمكن تلخيصها فيما يلي: العقل والحرية، الإسلام والعدل، وسلامة الحواس، والاطلاع الواسع في ميدان الفقه[47]، خاصة العلم بالأحكام الشرعية، التحلّي بالآداب الشرعية مثل النزاهة والاستقامة، والتزام الصدق والأمانة، الشجاعة والجرأة، البعد عن التعصب والهوى، والمطامع الشخصية[48].

وهناك عدة عوامل ساعدت القاضي سعيد العقباني على بلوغه هذا المنصب منها:

❖ نباهته، حيث كان أذكى وأنجب أهل بيته[49]، توليه القضاء لمدة طويلة[50]، حضوره مجالس غيره من القضاة مثل حضوره مجلس قضاء القاضي الفشتالي، واستفادته من منهجه وأسلوبه في القضاء[51].

❖ تنقلاته بين الحواضر والعمالات، بجاية في عهد السلطان المريني "أبي عنان" ومراكش وسلا، وهنين، وتلمسان، ووهران[52]، كما أكسبته خبرته ومهارته في علم الرياضيات التفوق في الجدل والمناظرة.[53]

طريقته في القضاء: اشتهر الإمام سعيد العقباني بمهارته وبتفوقه في المباحث القضائية[54]، فقد تميز بالحكمة والحزم وكان سري الهمة، رفيع القدر في جميع المناطق التي شغل فيها هذا المنصب، ويقول "يحيى بن خلدون" في هذا الصدد فحمدت سيره عدلا وجزالة..."[55]، ونستنتج من ذلك أنه سار على سنن الفضلاء وطريق الفقهاء، فقد كان قائما بالحقوق، واقفا على الحق، معارضا للولاة فيما يخالف طريق الشرع.

وكان حكيما عندما شارك بالرأي والمشاورة الصحيحة الخالصة لوجه الله، وكان حازما عندما ثار على الفقيه "أبي العباس القباب" سواء في قضية الايلاء[56] أو قضية درهم الإعانة[57]، أو قضية اليهودي حول دليل عموم الرسالة النبوية[58]، وكان همه ينصب على إقامة العدل وحماية الحقوق، وتطبيق الشرع ، لذلك كان الأجر غير مهم عنده والرزق غير مقصود، فقد ولي قضاء الجماعة ببجاية، وكان يعمل عملا آخر ليغطي نفقات أسرته، وكان يسترزق بكتب الصدقات، حيث كان يكتب وينسخ العقود خارج عمل القضاء مقابل أجرة[59].

نماذج من أقضيته: ومن القضايا التي كان يفصل فيها القاضي "سعيد العقباني" انطلاقا من مصادر النوازل كالمعيار والمازونية، شؤون المقابر وأئمة المساجد وخطبائها ومؤذيها، ومراقبة المدرسين للصبيان قصد تحفيظهم القرآن والمعلمين والمدرسين ومنعهم من التصدي لذلك إذا لم يروا فيهم الصلاحية، ومراقبة الأحباس العامة والخاصة بالإحسان، وحجز أموال السفهاء ومحاسبتهم وعزلهم عند ثبوت خلل في أعمالهم، والعقد على من لا ولي لها، ومراقبة النقدين " الذهب والفضة" والمكاييل والموازين وولاية الحج، ومصاحبة الجيش في

الحروب، كما كان ينظر في القضايا التي لها علاقة بالتجار المسيحيين وأفراد الجالية اليهودية[60]، وسوف نورد نموذجين من أقضيته:

- النموذج الأول: فصل القاضي "سعيد العقباني" في مسألة منَ تحمَّل الإنفاق على صغير في طلاق ومات أُخذ من تركته، فحكم بمايلي: تقدر النفقة إلى سقوطها عن الأب تقديراً وسطا لا شطط فيه ولا تقصير، ثم يؤخذ نصف المقدر من التركة ويوقف بيد موثوق به ثم ينفق على الابنة نصف نفقتها، ثم متى خرجت الابنة من حضانة أمها وسقطت نفقتها عن الأب وقد بقي شيء من الموقوف صرفه الورثة[61].

- النموذج الثاني: طرحت على القاضي "سعيد العقباني" بمجلس نظره وقضائه مسألة "عاميّ لا يعرف التعليق وقال متى حلّت علّي مطلقتي حرمت "وكان ذلك في مدينة مكناسة سنة 796هـ فحكم العقباني بمايلي: إن تزوجها وقع عليه الحنث، ولا يتكرر ذلك فيها مع تزويج آخر، وينظر هل نوى بقوله حرمت طلقة واحدة أو لا، فإن كان نوى واحدة دُيّن، ولم يلزمه سواها مع تقدم له فيها، وإن لم يكن نوى واحدة لم تحل له إلا بعد زوج[62].

ولم يقتصر عمل القاضي "سعيد العقباني" على التفرغ للأعمال القضائية فحسب، فقد أوكلت إليه مهام جليلة نظرا لمكانته العلمية الرفيعة و ثقة السلاطين والناس به والاطمئنان إلى إخلاصه وحسن قيامه بالأعمال، على الرغم من أن المصادر لا تشرح لنا مهام "العقباني" كقاض ولكننا لا نستبعد قيامه بعدة أعمال إضافية مثل خطة الإنشاء وتتلخص مهام كاتب الإنشاء في الدولة الزيانية في أنه يحرر مراسلات السلطان وعهوده، ومعاهدته، ويقرأ على السلطان ما يرد عليه من رسائل وخطابات بالإضافة إلى مهمة التوقيع بين يديه وخطة الحسبة[63]، وبذلك ولي قضاء الجماعة فكان خاتمة قضاة العدل بتلمسان[64]، فاشتهرت آثاره وتوارث مهنة القضاء أحفاده.

- العقباني مفتيا: استطاع "سعيد العقباني" أن يصل إلى مراتب الفقهاء الذين يتصدُّون للإفتاء[65] لمكانته العلمية وثقافته الشرعية واللغوية وجمعه لشروط الاجتهاد، فكان من ذوي التبحر، والتفقه، والاستحضار، والتقيد بمذهب الإمام مالك[66]، وكان إلى جانب ذلك دمث الأخلاق فقد كان طويل الفكر، كثير العبر[67]، يحسن التصرف، و تحمل على عاتقه مسؤولية الإفتاء امتثالا لقوله تعالى" فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ

وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"[68]، وأصبح شيخ الفتوى في المغرب الأوسط، وغالبا ما لقبه من نقلوا عنه بأنه "شيخ الشيوخ" في هذا المجال[69].

طريقته في الإفتاء: كان الإمام "سعيد العقباني" يدرك خطر الفتوى وعظيم تبعاتها، وانطلاقا من ذلك فقد كان له منهج في فتاويه ويتجلى ذلك في هذه النقاط:

- الاعتماد على الدليل والبرهان والتعليل والتوجيه[70]، احترام أراء العلماء والسابقين، الالتزام بمذهب الإمام مالك.[71]

- اختيار المشهور من الأقوال دون غيرها من الضعيف، عدم التشدد والحرص على التيسير والتواضع فهو غالبا ما ينهي إجابته بقوله " والله تعالى أعلم"[72]، ويظهر تواضعه عندما سئل عن مسألة "الاستبراء لسوء الظن" فأجاب بقوله "أما استبراء سوء الظن في الحرة فلست أحفظ فيه نص وجوب"[73] وهذا المنهج نستنتجه من نصوص فتاويه.

وتنطلق فتاويه من أسئلة موجهة إليه ومسائل تعرض أمامه، يكون نصها قصيرا في الغالب ويطول أحيانا ويختلف أسلوبها بين البساطة في الطرح وبين الدقة والرجحان، وذلك يعود إلى مستوى المستفتي، وقد يكتسي الجواب صيغة الاختصار مثال ذلك الفتوى التي نقلها المازوني، وموضوعها" حول رجل زوج ابنته البكر من رجل ثم عاد في نكاحها من آخر"[74]، ويمكن تبرير ذلك بأن المسألة المطلوبة جوابها أكثر شيوعا أو قد أشار إليه في مجالس ذكره ، وقد يطيل في جواب أحد المسائل موردا الحجج والبراهين ومحاولا الإقناع، ومثال ذلك المسألة التي نقلها "الونشريسي" وموضوعها هو "لا يجوز للطالب التصرف إلا فيما عينه له ناظر من بيوت المدرسة"[75]، وكذا مسألة "الأوقاف هل يختلف حكمها باختلاف واقفيها"[76].

وبعضها يكتنفها الغموض لاقتضاب الجواب على نصف سطر، خاصة عندما يتعلق الأمر بمسألة معروضة للنقاش بين العلماء، أما إذا تعلق الأمر بالإفتاء في مسألة بدعة أخذت تنتشر في المجتمع فإنه يسلك مسلك التوجيه والإرشاد والتحذير من مغبة انتشار الظاهرة.

ويبدو لنا من خلال بعض فتاويه قوة الملاحظة والقدرة على المجادلة والإقناع وكذا حدة الطبع والثقة في النفس حسبه في ذلك احترام العلماء له فهم عندما ينقلون عنه يذكرونه بجلاء مثال ذلك قول الونشريسي " الحمد الله، أشهد على نفسه الفقيه الأجل المدرس الاسنى

المفتي العالم العلامة القاضي الأعدل، الأرفع الأكمل، "أبو عثمان سعيد" الواضح اسمه عقب الجواب المقيد.."[77] .

ويدل استهلال بعض الفتاوى وخواتمها أنها صيغت في قالب رسائل موجهة له من مناطق جغرافية مختلفة، بعضها مذيل بالدعاء والسلام مثال ذلك " سئل القاضي "أبو عثمان سيدي سعيد العقباني" بما نصه: يا سيدي أبقى الله بركتكم وأعلى في مقامات العلماء رتبكم.."[78] ، وأخرى جاءت مذيلة بتاريخ مثال ذلك"...وبذلك يشهد في أواخر محرم ثلاث وثمانين وسبعمائة..."[79] .

أما عن موضوعات فتاويه فإن جلّها عبارة عن مسائل شغلت أدهان العامة و طرأت في حياتهم ودفعتهم إلى الاستفتاء أو مواضيع طال فيها النقاش بين العلماء سواء في المغرب الأدنى، أو الأوسط أو الأقصى وحتى الأندلس ومن الموضوعات السائدة في أغلب فتاويه هي الموضوعات الفقهية من عبادات كطهارة، صلاة وصيام، زكاة ونكاح، وطلاق، وكان للعادات و البدع المنتشرة حظ وافر في فتاويه .

ويتبين من خلال الأسئلة و أجوبتها أن المستفتين كانوا من عامة المجتمع ومن العلماء والسلاطين[80] ، فقد خص سلاطين بني زيان لأنفسهم فقهاء يستشيرونهم فيما أشكل عليهم من أحكام الشرع وما يقتضيه الحال من الحلال والحرام وقد أوصى "أبو حمو الثاني" ولي عهده باتخاذ فقيه يخص به نفسه[81]، وتكمن أهمية هذه الفتاوى في كونها تغوص بنا في أعماق الأحكام والمسائل الفقهية وهي مرآة عاكسة لمختلف العلوم التي كانت متداولة آنذاك, وقد ألمت هذه الفتاوى بأسماء شخصيات علمية وفقهية شهيرة و كتب نفيسة .

بالإضافة إلى ذلك فهي تكشف لنا النقاب عن ملامح الحياة الاجتماعية خاصة وضعية المرأة والحياة الاقتصادية التي عاصرها "سعيد العقباني" فمن خلالها نطلع على تنظيم الأسواق والعملات المتداولة والضرائب والمكوس، وكذلك حالات العسر والرخاء في الدولة الزيانية والقضاء ومشاكل المجتمع والمعاملات التجارية، هكذا يجد المتطلع إلى أحكام الشرع بغيته في فتاوى "الإمام سعيد العقباني" كما يجد الباحث في التاريخ، والاجتماع، والحضارة بعض ما يسعى إليه من فائدة لتكوين صورة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة الزيانية، وقد أقبل بعض الباحثين الجامعيين على كتب النوازل خاصة فتاوى عالمنا،

فنقلوا بعضها ضمن مؤلفاتهم خاصة وأنها أوضحت الكثير من مظاهر الفساد والرشاوى والغش والتعدي على الأموال.[82]

ولم يلتزم ذكر مصدره الفقهي في كل مسألة أفتى فيها، وإنما كان يذكر أحيانا المصدر من الكتب المعتمدة لدى المالكية ومن المصادر التي صرح بها على سبيل المثال لا الحصر نجد السنة النبوية[84] و " المدونة الكبرى " لابن القاسم، كما استشهد "سعيد العقباني" بأقوال كثير من أعلام المذهب مثل اللخمي[85]- ابن يونس- ، وما يلاحظ على فتاوى العقباني هو غياب النصوص القرآنية.

الإمامة: تولى سعيد العقباني الإمامة في المناطق التي شغل بها منصب القضاء، وغالبا ما ذكر نفسه بالإمام بقوله".. أشهد الفقيه الأجل المدرس المفتي العالم العلامة الإمام الأستاذ الأعرف المشاور، خطيب الحضرة العلمية المتوكلية الزيانية أدام الله أيامها، وقاضي الجماعة بتلمسان .."[86] ، كما شغل منصب خطيب الجامع الأعظم بتلمسان في عهد يحيى بن خلدون (ت 780هـ)[87].

وإقتصرت مهامه على إمامة الصلاة بالمصلين من عامة الناس والسلطان وحاشيته، والخطابة خاصة في صلاة الجمعة والأعياد[88] والاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، وشهدت مجالسه حضورا كبيرا فقد تحولت إلى منابر للذّكر والاستفتاء في عدة قضايا تهم المجتمع، واهتم الإمام "سعيد العقباني" بشؤون المساجد والأوقاف التابعة لها، ومثال ذلك السؤال الذي طرح عليه ونصه هو".. سئل عن مسألة جامع حبّس عليه أساس أحباسا، وفي المحبس ملول وغيرهم، ثم في الأحباس المذكورة وفر على ما حبس عليه المحبسون، فهل يا سيدي يصرف من ذلك من ذلك الوفر في وجوه البر، كالتدريس ..".

فأجاب: الحمد لله أعلم أن الأوقاف على المساجد والمدارس ونحوها يختلف القول فيها باختلاف واقفيها، فإن كانت من الملوك وكان لها على ما سمّوه من المصرف فضل بين فجائز أن يصرف ذلك الفضل في غيرها... وسبب ذلك أن الأئمة في تصرفاتهم وكلاء عن المسلمين، وليس للوكيل أن يتصرف إلا على وجه المصلحة وما زاد على ذلك فهو معزول عنه.."[89].

واهتم بشؤون المصلين وطهارتهم ويظهر ذلك في بعض فتاويه، فقد سئل عمن تعذر عليه غسل الجنابة إلا في الحمام ومغتسل الحمام يضطر للنظر إلى عورات الناس هل يباح له التيمم خشية الاطلاع أو يباح له ذلك الاطلاع كي يصلي بطهارة مائية؟

فقال: لم أجد نصا في عين النازلة، ورأيت لبعض المتأخرين في قوم لا ساتر لهم، لا بد من نظر بعضهم لبعض، وقال أيضا يصلون جلوسا إيماء[90]، ونستنتج مما سبق أن الإمام سعيد العقباني كان ورعا استطاع أن يكسب قلوب العامة وثقة السلاطين طيلة حياته.

العقباني معلما: كان الإقراء عند الشيخ "سعيد العقباني" من عظيم اهتماماته وفرط عنايته، وكان الطلبة في وقته أعزّ الناس عليه، وأكثرهم عدداً وأوسعهم رزقاً، وأكرمهم مجلساً فتخرّج على يده عدد كبير من التلاميذ، ممن شيعّوا ذكره وعرفوا فضله ونشروا علمه[91]، وقد تبوأ منصب الأستاذية في المدرسة التاشفينية[92]، فاستفاد منه كثيرون في عدة علوم[93] كما تولى مهمة التدريس في المناطق التي شغل فيها منصب القضاء كبجاية ووهران وسلا ومراكش [94]، وسوف نتطرق أولا للعلوم التي درّسها.

فقد احتفظت لنا المصادر بمختلف العلوم التي درسّها الشيخ "سعيد العقباني" خاصة برنامج المجاري وفهرست الرصاع فمن خلالهما نستشف عن قرب فحوى العلوم التي تمحورت حولها دروس "سعيد العقباني" وهي كما يلي:

❖علم الفرائض: كان كتاب أبي القاسم أحمد بن محمد الحوفي الإشبيلي(ت588هـ/1191م) والمعروف بـ "كتاب الحوفي في الفرائض" أهم كتاب درّسه العقباني لطلبته، وعكف على شرح محتواه وهو ما تؤكده رواية تلميذه المجاري الذي قال انه قرأ على يد شيخه "سعيد العقباني" جملة كبيرة من كتاب الحوفي،[95]وهو الأمر ذاته الذي يقره بعض تلاميذ "الشيخ العقباني" مثل "عيسى الرتيمي"[96]، و"أبي عبد الله محمد الأنصاري"[97]، كما دّرس "الشيخ سعيد العقباني" كتبا هامة في علم الفرائض مثل: الحصار،[98]والاطرابلسي، وخشبة الوادي.

❖الحساب والجبر: درّس الشيخ "سعيد العقباني" قصيدة ابن الياسمين (ت601هـ/1204م) وهي عبارة عن أرجوزة في الجبر والمقابلة، وكتاب تلخيص أعمال الحساب لابن البنا المراكشي (ت 721هـ/1321م)[99].

❖علم الأصول: خاصة كتاب ابن الحاجب الأصلي[100].

❖علم المنطق :خاصة كتاب جمل الخونجي لفضل الدين الخونجي (ت 646هـ/1248م)[101]، إلى جانب علوم أخرى مثل تفسير القرآن الكريم[102] وتدريس

الخزرجية[103] ، وبعض القصائد الذائعة الصيت ،وعموما هذه بعض العلوم التي درسها "سعيد العقباني" .

3- 1 طريقته في التعليم: تميز "الشيخ سعيد العقباني" بمستوى علمي رفيع وكانت دروسه على درجة عالية من حيث الأداء والمحتوى، لا يحضرها، النجباء من الطلبة، ونستنتج ذلك من إفادة تلميذه "عيسى الرتيمي" الذي ذكر أنه قرأ جميع الحوفي على يد والده ست مرات قبل أن يقرأها على يد "الشيخ سعيد العقباني"، وكان يحرص على تبليغ المعلومة حرصا شديدا بشرحه لدروسه مراراً[104] .

لقد اتبع الشيخ "سعيد العقباني" أسلوب الشرح والإملاء في إلقاء دروسه ولكن ما يميزه عن غيره هو الإملاء مما يحفظه في صدره دون الاستعانة بالكتب لغزارة حفظه وسعة إطلاعه[105] ، أما طلبته فكانوا يقيدون في كراريسهم ما يسترعي انتباههم وفي نفس الوقت يجيب على تساؤلاتهم خاصة وأن معظم الكتب التي درّسها قام بتقديم شروح لها في غاية الأهمية.

يظهر أن الشيخ "سعيد العقباني" اعتمد في إعداد دروسه على البحث والتفكير لإثراء ما يحفظه، فكان لذلك أثره في شحذ أذهان طلبته خاصة وأنه تميز بقوة الحفظ، والتذكر، ويقول تلميذه الرصاع في هذا الصدد"...إن الكتب المقروءة عليه لا يحتاج إلى نظرها بل يحفظ شرحها في صدره من القديم وتعاد الدولة عليه مرارا كما يقول للمبتدي يقول للمنتهي ولا يخل بشيء مما اقرأه أولا..."[106] ، ويضيف الرصاع أن شيخه كان ينقح درسه بأبيات من الشعر لبراعته بالعربية وعروض الشعر[107] ، وكان يروي نكتا مساهمة منه في خلق جو علمي لأداء الدرس ويزيح عن طلبته الزجر والمللّ.

نلاحظ كذلك أن "سعيد العقباني" كان يتشاور مع زملائه في المدرسة إذا ما استعصى عليه أمر ونستنتج ذلك من إفادة تلميذه المجاري فقد قال".. وكان شيخنا الإمام أبو عثمان العقباني- رحمه الله- يحدث له تردد في بعض المسائل في أصول الدين فيبعثني إلى- الشيخ إسحاق إبراهيم المصمودي- أسأله عن نظره فيها وأرد عليه الجواب، فإذا أخبرته بما عنده فيها استحسنه غاية."[108]

كما نستنتج أن "سعيد العقباني" كان قوي الشخصية جامعا لمختلف العلوم، وربما حاول التجديد في طريقة التعليم بشدّ انتباه تلاميذه بحيويته ونشاطه الدائم، فيظهر أن شيخنا لم

يكن يلقي الدروس على طلبته إلقاءاً جزافيا، بل كان يشرحها بالتدرج شيئا فشيئا ويعيد الشرح دون ملل مراعيا في ذلك قدرة إدراكهم وفهمهم، ويراعي كذلك الفروق الفردية بين طلبته، فيقول تلميذه "عيسى الرتيمي" أنه أعاد مع زملائه ختم الحوفي ثمان عشرة مرة على يد شيخه "العقباني"، وهذا يجرنا إلى القول أن الشيخ "سعيد العقباني" كان هدفه تحصيل العلم بالتدرج والوصول إلى الإتقان، وكانت تدور مناقشات وتحليل في حلقة الدرس بين جموع طلبته بحضوره، ويحاول الطلبة الإدلاء بآرائهم ويناقشون المسائل التي استعصى عليهم فهمها، وطريقة المحاورة والمناظرة هي التي أشاد بها "ابن خلدون" في مقدمته بقوله" وأيسر طرق حصول الملكة، إنما يكون بفتق اللسان بالمحاورة، والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها..."[109].

وينقلنا تلميذه "الرصاع" إلى إحدى حلقات لإقراء لدى شيخه سعيد العقباني بقوله "...وكنت ذات يوم أقرأ عليه ابن البنا وحضر معي جماعة فكنت ربما اسبق في العمل الحاضرين فيقول لي: يا ولدي أشياخنا الذين أخذنا عنهم يقولون عند إقرائهم لتلامذتهم: قال النبي صلى الله عليه وسلم : سروا بسير الضعفاء..."[110]، والمقصود هنا مراعاة مستوى التلاميذ الضعفاء والأخذ بأيديهم، ويظهر أن شيخنا كان أستاذا مشهورا شهد له بالعلم والصلاح فلتف حوله التلاميذ من كل صوب ينهلون منه مختلف العلوم ويلازمونه مدة زمنية طويلة لتحصيل المنفعة العلمية ويتسابقون في طلب إجازته.

إجازاته: لم يكن للطالب أن ينهي مسيرته في طلب العلم عند تخرجه من المدرسة، بل كان لابد عليه ليصبح من العلماء المشهورين أن يسعى إلى الحصول على الإجازات في مختلف العلوم من أشهر علماء عصره ، لذا وجب عليه أن يرتاد المراكز العلمية المشهورة آنذاك بهدف الاتصال بكبار علمائها والأخذ عنهم، والحصول على الإجازة، والرواية منهم وذلك حرصا على السند العلمي[111]، وقد تهافت الطلبة لطلب الإجازة من الشيخ سعيد العقباني ومن الطلبة الذين أجازهم شيخنا تلميذه الرصاع [112]، فقد أجازه بلفظه وخطه وأذن له بالتحدث عنه وعن أشياخه ، كما أجاز تلميذه "المجاري" إجازة عامة وأباح له فيها بتحدث بكل العلوم التي تلقاها عن شيخه سعيد العقباني[113]، وبجمع ما رواه وقيده عنه وأجاز أيضا تلميذه عيسى الرتيمي[114]، وكانت البيوتات المشهورة تتسابق لطلب للإجازة

لأبنائها من العالم سعيد العقباني مثل ماهو الحال بالنسبة لبيت "بني المكناسي" الذي أجاز "العقباني" أبناءهم وأجاز حتى من سيولد لهم[115].

تلاميذه:

أ- إبراهيم بن محمد المصمودي[116] :شيخ عالم صالح، زاهد، أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق، قال عنه "ابن صعد التلمساني" في النجم الثاقب "..كان هذا الولي أحد من أوتي الولاية صبيا وحل من رئاسة العلم، والزهد مكانا عليا.." وقال عنه الإمام ابن مرزوق "هو في عدد أشياخي وحصل لي النفع بمجالسته وكلامه، الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدرس رئيس الصالحين والزاهدين في وقته..".

أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة بها ولد ونشأ، أخذ العلم من فقهاء وقته مثل "موسى العبدوسي" و"الشيخ الآبلي"، و"الإمام أبي عبد الله الشريف التلمساني" ، ثم انتقل إلى سكنى المدرسة التاشفينية فقرأ بها على الشيخ "سعيد العقباني"، توفي سنة (804هـ/1401م) ودفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان.

ب- أبو يحيى الشريف[117] : هو أبو يحيى عبد الرحمان بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني ، المعروف "بأبي يحيى"، وصفه الونشريسي في المعيار بأنه "سيد الشرفاء و شريف العلماء "،كان علامة محققا نظارا ، آية في القيام بتحقيق العلوم و الإتقان لها و معرفتها، أخذ عن أبي عثمان سعيد العقباني و أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد و ابن زاغو وأثنيا عليه، له فتاوى في المعيار[118] و في نوازل مازونة[119]، توفي سنة(826هـ- 1422م) بتلمسان .

خاتمة: إن المتتبع للحياة السياسية للمغرب الأوسط خلال العهد الزياني قد ينظر بعين التشاؤم للحياة الثقافية التي أخذت منحى مغاير، فقد كانت تلمسان خلال هذا العهد عاصمة للعلم والعمران ومنبرا للعلماء، الذين صنعوا الحياة الثقافية بإنتاجهم الغزير مثل شخصية العالم "سعيد العقباني" الذي تميز بالنبل والنباهة فقد كان وحيد زمانه في المعقول والمنقول ، والبحث في ثنايا هذه الشخصية يؤكد لنا قطعاً أن هناك مئات الشخصيات الفاعلة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني تحتاج إلى جهود الدارسين واهتمام الباحثين ونستشهد في هذا المقام بقول ابن مريم " إن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال، ومعرفة طبقات الفقهاء من مهمات الطالب، وكذلك ما ألّفوه في حصر المسائل"، وقد كان هذا القول دافعنا لكشف الجوانب العلمية لهذا العالم، وقد حاولت جاهدة من خلال بحثي

إعطاء كل المعلومات التاريخية عنه والبحث عن آثاره العلمية إلا أن الحالة المزرية التي وجدت عليها بعض مخطوطاته خاصة البتر والفقدان لم تسمح لي بدارسة كل الجوانب المتعلقة به والغوص أكثر في الموضوع، ومن ثم فإن العثور على مؤلفاته المفقودة وعلى الأجزاء الناقصة قد يساعدان حتما في تقييم أحسن لحياة هذا العالم.

الهوامش:

[1]- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح علي عمر،ج1، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، ص204- 205، ابن مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(ب.د)، ص250، ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تق عبد الرحمان طالب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص 106.

2- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء للامع لأهل القرن التاسع، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، (ب. د)، ج6، ص 181.

3 - أبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي، برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأجفان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1982، ص 132.

4- المجاري ، المصدر نفسه، ص106، ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص250، ابن القاضي، ذرة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح وتع مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، منشورات دار الكتب العلمية، 2002، ص431، محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج2، بيروت، منشورات دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 726.

5 - ابن مريم، المصدر نفسه، ص 106- 107.

6- BROSSELARD.(Ch) : Tombeaux des Familles EL Makari et EL OKbani, Revue Africaine, n°30, 1860, p414.

7- المجاري، مصدر سابق، ص129.

8- هو محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي، كنيته أبو عبد الله، ولقبه وشهرته الشريف التلمساني، ويعرف أيضا بالعلوي، نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى "العلوين " ولد سنة عشر وسبعمائة (710هـ/1310م)، تميز الشريف التلمساني بصفات عالية فقد كان أحسن الناس وجها وقدراً، نبغ في علوم كثيرة، ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تح وتع عبد الحميد حاجيات ، الجزائر، المكتبة الوطنية ،1980، ص 20- 21.

9- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقّريّ التلمساني، وصفه ابن مرزوق الجد بقوله : "كان صاحبنا معلوم القدر، مشهور الذكر، ممن وصل إلى الاجتهاد المذهبي" أشهر تلامذته لسان الدين

الخطيب، وعبد الرحمن بن خلدون، ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر نفسه، ص121، التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ، مصدر سابق، ص 60.

10 - هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، الشهير بالخطيب والجد والرئيس ، ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر نفسه، ص115، ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج2، تح علي عمر، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 2003 ص270.

11- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص437.

12 - ابني الإمام: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أكبر الأخوين يدعى أبو زيد بن الإمام (ت 743ه)، وأبو موسى عسي بن الإمام (ت 749 هـ)، أصلهما من برشك، ينظر: التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بنى زيان ملوك تلمسان، تح وتع، محمود بوعياد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 139، عبد الرحمن بن خلدون، رحلة ابن خلدون، ط1، تح محمد بن تاويت الطنجي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004، ص52- 53.

13- مدرسة ابني الإمام: لم يبقى من هذه المدرسة أي أثر غير أن المسجد مازال قائما وهو المعروف اليوم عند أهل تلمسان باسم (جامع سيدي أولاد اليمام) ، حساني نبيلة، القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية(633- 962هـ/1235- 1554م) ، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1999، ص 142.

14 - المشدالي(731هـ)، الفقيه الحافظ العالم الكبير المحقق الشهير ،أخد عن أئمة منهم صهره المذكور وعنه جماعة منهم الإمام المقّري الذي وصفه بأنه حافظ تلمسان ومدرسها ومفتيها ، ينظر: ابن مخلوف، مصدر سابق، ص220.

15ابن مريم، مصدر سابق ،ص 106 ،ابن فرحون، الديباج المذهب، مصدر سابق ص344.

16- ابن حيدرة: هو محمد بن حيدرة أبو عبد الله التونسي، إمام المعارف، المعترف له في البلاغة والبراعة والفصاحة بالسبق والتبريز، برع في الأدب والتصوف ونبغ في المعقول والمنقول، ينظر: نيل الابتهاج، مصدر سابق ،ص 72،71 .

17 - المجاري، مصدر سابق، ص 130.

18- المجاري ،المصدر نفسه، ص 128- 129، ابن مريم ،مصدر سابق، ص 106.

19 - السطي (ت 749ه- 1348م) هو عبد الله محمد بن علي بن سليمان السطي، الفقيه الفرضي الحافظ، أثنى عليه عبد الرحمن بن خلدون، ينظر: ابن مخلوف، مصدر سابق، ص221،

20 - منوني محمد، نشاط الدّراسات الرّياضية في مغرب العصر الوسيط (عصر بني مرين)، مجلة المناهل، رقم 33، الرباط، ديسمبر 1985، ص99

21 - المجاري، المصدر نفسه، ص129.

22 - المصدر نفسه، ص130.

23 - الآبلي: هو محمد بن إبراهيم ابن أحمد العبدري التلمساني، عرف بالآبلي (ت 757هـ) أصله من جالية الأندلس من أهل آبلة من بلاد الجوف،. ويعتبر الابلي إماماً جامعاً لمختلف الفنون المعقولة والمنقولة، ينظر: ابن مخلوف، المصدر السابق، ص221، ابن خلدون عبد الرحمن، رحلة ابن خلدون، ص 49.

24 - ابن مريم، مصدر سابق، ص 106.

25- هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري، قاضي الجماعة بتونس، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، رحلة ابن خلدون مصدر سابق، ص39، ابن مخلوف، مصدر سابق، ص210

26- المجاري، مصدر سابق، ص 130.

27 - منوني محمد، نشاط الدّراسات الرياضية، مرجع سابق، ص78.

28- المجاري، المصدر نفسه، ص130.

29- يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص 132.

30 - ابن فرحون، مصدر سابق، ج2، ص244- 245، التنبكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ج1، ص 204. 31 - ابن مريم، مصدر سابق ،107.

32- المصدر نفسه، ص107.

33 - نفسه، ص107.

34- المجاري، مصدر سابق، ص129.

35- ابن مخلوف، مصدر سابق، ص250.

36- ابن مريم ،نفسه، ص194، الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص64.

37- بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص64، عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، الجزائر، ع26، 1975، ص144 ،عبد الحميد حاجيات، أبو حمو الزياني حياته وآثاره، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2،1982، ص170.

38 - الأنصاري، مصدر سابق، ص114- 115.

39- ابن مريم، مصدر سابق، ص106- 107، ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح وتع مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ، منشورات دار الكتب العلمية2002، ص431، الونشريسي،

وفيات الونشريسي، ضمن ألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ص137 أما السخاوي فنقل أنه مات سنة أربع وثمانمائة، السخاوي، مصدر سابق، ج3، ص .256

40- ابن مريم، نفسه، ص107.

41- محمد بن موسى الثاني (أبي حمو) بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، أبو عبد الله، الواثق بالله، الشهير بابن خولة : عاشر ملوك الدولة الزيانية بتلمسان في دورها الثاني، كان مقيما عند السلطان عثمان المريني بفاس، وتنكر بنو مرين لأخيه السلطان عبد الله بن أبي حمو صاحب تلمسان، فأعانوه على احتلالها واعتلاء العرش سنة 804 هـ/1401م. فاستمر في الحكم حتى وفاته سنة813هـ/1411م، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثانية، 1980، ص 139.

42 - BROSSELARD.(CH):op.cit.p.414.

43- الأنصاري، مصدر سابق ، ص 15،

BARGES.(J.J.L)Tlemcen, Ancienne capitale du Royaume de ce nom,sa topographie ,son histoire,Paris ,1859,p.365.

44 - المصدر نفسه، ص16.

45- الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب، اشراف محمد حجي، ج6، بيروت دار الغرب الاسلامي، 1981ص44، يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1 ، ص 123 .

46-BROSSELERD (ch) :op.cit.p.414.4

47- ابن فرحون، مصدر سابق، ج2، ص244.

48 - حساني نبيلة، مرجع سابق، ص 150.

49 - يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص132.

50- الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج6، ص44.

51- محمد العقباني، تحفو الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح علي الشنوفي ، لبنان، المطبعة الكاثوليكية، 1967، ص 30.

52- ابن مريم، مصدر سابق، ص 106- 107.

53- المجاري، مصدر سابق، ص 132.

54- بونار رابح، القاضي سعيد العقباني التلمساني، مجلة الأصالة، العدد السادس، جانفي 1972، ص 67.

55- يحيى بن خلدون، المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

56- المازوني أبو زكريا يحي المغيلي المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ،ج2، تح حساني مختار ، نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات، جامعة الجزائر، ط1، 2004، ، ص 635.

57 - المصدر نفسه، ص633.

58- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 161.

59- الونشريسي ،ج10، ص 212.

60- حساني مختار، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية (633- 962هـ- 1235- 1554م)، رسالة دكتورة الحلقة الثالثة، إشراف د/ محمد علي الباقي، جامعة الجزائر،1985- 1986، ص139.

61- الونشريسي، ج4 ، ص 9.

62- المصدر نفسه، ج4، ص411.

63 - حساني نبيلة، مرجع سابق، ص17.

64- ابن مريم ، مر سابق، ص107.

65- ابن مريم ، مصدر سابق، ص106.

66- ابن فرحون، مصدر سابق، ج 2، ص344.

67 - الأنصاري أبي عبد الله محمد ، فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، ط1 ، 1967، ص114

68 - (التوبة رقم الاية122).

69 - الونشريسي ،مصدر سابق ،ج4،ص 119.

70 - الونشريسي، المصدر نفسه، ج6، ص 43.

71- المصدر نفسه، ص 118- 119.

72 - الونشريسي ، المصدر نفسه،ج12،ص209.

73 - المصدر نفسه،ص473، المازوني، مصدر سابق،ج2،ص29.

74 - المصدر نفسه، ص 560.

75- الونشريسي، ج7، ص263.

76 - نفسه،ص215.

77 - الونشريسي، المصدر نفسه، ج12، ص 208.

78- المصدر نفسه، ج12، ص263.

79- المصدر نفسه، ص 264، المازوني، مصدر سابق،ج3 ، ص228.

80 - المصدر نفسه، ج 7، ص 215- 216.

81 ـ حساني مختار، مرجع سابق، 79.

82- كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي- من خلال نوازل الونشريسي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1998، ص36- 37.

83 - نفسه، ج7، ص 259- 260.

84- أبو الحسن علي بن محمد، قيرواني الأصل ، نزل سفاقص، وبها مات، له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة ، له اختيارات وآراء خرج بها عن مذهب مالك ، توفي سنة 498هـ، عبد الرحمن بن خلدون، رحلة ابن خلدون، مصدر سايق، ص48.

85- الونشريسي، مصدر سابق، ج، ص

86 - يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص132.

87- التنسي، مصدر سابق، ص 12.

88 - المازوني، مصدر سابق، ج 2، ص203.

89 - التنبكتي، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ج1، ص 145.

90- حساني نبيلة، مرجع سابق، ص144.

91- تعتبر أهم مدرسة بالمغرب الأوسط، شيدت من قبل السلطان أبو تاشفين عبد الرحمان الزياني، لفائدة العالم" أبي موسى عمران المشدلي الزواوي"، التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،تح محمود بوعياد، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 140- 141.

92- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني، مرجع سابق، ص179.

93- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995 ، ص72.

94- المجاري، برنامج المجاري ،مصدر سابق، 129.

95- القلصادي، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الاجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص98.

96- الانصاري، فهرست الرصاع، مصدر سابق، ص114- 115.

97 - نسبة إلى أبو الحسن علي بن محمد بن احمد الخزرجي الاشبيلي ثم الفاسي يعرف بابن الحصار الفقيه العالم المحصل المتفنن المؤلف المتقن اخذ عن أبي القاسم بن حبيش وغيره أقرأ أصول الفقه وحج وجاور وحدث عنه أبو محمد عبد العظيم المنذري صنف في أصول الفقه وكتاب الناسخ والمنسوخ والبيان في تنقيح البرهان وله أرجوزة في أصول الدين شرحها أربعة أسفار ، توفي سنة611هـ، ابن مخلوف مصدر سابق، ص 173.

98 - المجاري، المصدر نفسه.

99- الانصاري، المصدر نفسه .

100- المجاري، مصدر سابق، ص 132.

101 - الانصاري، المصدر نفسه.

102 - نفسه.

103- القلصادي المصدر نفسه.

104- الأنصاري، مصدر سابق، ص 115.

105- نفسه.

106- نفسه

107 - نفسه.

108- ابن خلدون ،مقدمة بن خلدون، ص402.

109 - الأنصاري، المصدر نفسه.

110 - الإجازة مشتقة من الجواز، أو التجوز، وهو التعدى وتجاوز الشئ فكان الشيخ أو الأستاذ عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه وهو في هذه الحالة تلميذه، وقد كانت الإجازة أولاً في الحديث النبوي صيانة له وتحرزا من وقوع الخلط فيه وحداً لكل مجترئ على الخوض فيه بلا علم، وكان طالب الحديث لاتتم له رواية الحديث إلا بإجازة شيخه، وتوسع الشيوخ والعلماء في الإجازات فمنحوها لكل طالب الرواية في الفقه، والتاريخ ، والسير والأدب والشعر وغيرها من سائر العلوم والفنون، محمد عبد الغني حسن ، المقري صاحب نفح الطيب، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (ب- د)، ص21.

111- بوشقيف محمد، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال ق9 هـ/15م،رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2003- 2004، ص 51- 52.

112- الانصاري، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

113- القلصادي، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

114 - ابن القاضي ،درة الحجال ، مصدر سابق، ص363.

115- ابن مريم ، المصدر نفسه، ص66، الحفناوي، مصدر سابق، ج1، ص256.

116 - محمد بوشقيف، مرجع سابق، ص 52- 53.

117 - ابن مريم البستان، مصدر سابق ،ص64، الانصاري ، مصدر سابق، ص19،18.

118 - التنبكتي، مصدر سابق، ص 308، الأنصاري، مصدر سابق، ص 112القلصادي ،ص 118. ،ابن مخلوف ،شجرة النور الزكية ،ص 246.

119 - التنبكتي، مصدر سابق، ص 308، الانصاري، مصدر سابق، ص 112، القلصادي، مصدر سابق، ص 118، ابن مخلوف، مصدر سابق، ص246.